المقدمة:

إن مكة أشرف بقعة على سطح الأرض والكعبة أطهر وأشرف بيت عرفه الإنسان ووضعه الله للناس للعبادة فى الأرض لقوله تعالى (إن أول بيت وضع للناس) ومكة لها اسمان مكة وبكة وقد جاء القرآن بهما واختلف فى الاسمين هل هما لمسمى واحد أو لمسميين على قولين :-

أحدهما :- إنه لمسمى واحد لأن العرب تبدل الميم بالباء فيقولون ضربة لازم ولازب واختلف من قال بهذا على قولين أحدهما أن مكة اسم البلد وبكة اسم البيت .

القول الثانى : أن مكة الحرم كله ومأخوذة من قولهم تمككت المخ إذا استخرجته لأنها تمك الفاجر أى تخرجه قال الشاعر :

يا مكة الفاجر مكى مكاً ولا تمكى مذحجاً وعكا

وأما بكة فقال الأصمعى سميت بذلك لأن الناس يبك بعضهم بكاً أى يدفع بعضهم بعضاً وأنشد قول الشاعر :

اذا الشريب أخذته بكة فخله حتى يبك بكة

والكعبة زادها الله تشريفاً لها عبر العصور من المكانة والمهابة ما ليس لغيرها من البيوت مطلقاً من لدن آدم وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها ولقد حاول بعض الطغاة أن يصرف الناس لتعظيم بيوت أقاموها كبديل عن الكعبة

واستخدموا القوة فى سبيل تحقيق ذلك ولكن ليس عن بيت الله بديلاً فلم يتم لهم الأمر لأن التعظيم هنا كان بقهر الرقاب فلم يدم ذلك إن بدأ مثلما فعل أرهة مع القليس ومثلما فعل اليهود مع بيت البهائيين فى فلسطين وذلك لأن مكانة الكعبة فى قلوب المسلمين جاءت من هوى النفس ولم تأت من قهر الرقاب فقلما تجد مسلماً لا تهفو نفسه لزيارة بيت الله الحرام خاصة إذا ما تقدم بالانسان العمر حيث تجد كثيراً منهم ممن لم يتمكن من زيارة بيت الله الحرام لا يملكون أعينهم أن تفيض بالدمع عند سماع تلبية الحجيج وقولهم لبيك اللهم لبيك .

إن هذه المكانة جاءت من كونها بيت الله الحرام الذى يشعر فيه كل زائر بالأمن والراحة النفسية التى لا تتاح فى أى بقعة أخرى من الأرض غيرها وجاء الأمان استجابة لدعوة إبراهيم الخليل حيث قال فيما حكاه عنه رب العزة (رب اجعل هذا البلد آمناً وارزق أهله) فأمنه الحق تبارك وتعالى ورزق أهله مؤمنهم وكافرهم وأمر النبى (ص) المسلمين بتأمين من به حتى يخرج ، ليس هذا فقط بل أمن الله قريش لكونهم قائمين على البيت رغم كفرهم وعبادة غير الله من صنم وطواغيت أخرى فكان أى من أهل الحرم إذا خرج عنه وتعرض لشئ مما يتعرض له غيره من أهل البقاع الأخرى قال إنى حرمى أى من أهل الحرم فيتركوه .

كما أن الحق سبحانه يرزق زائر بيته من حيث لا يدرى ولا يحرم الكافرين منه وذلك أيضاً استجابة لدعوة إبراهيم الخليل حيث قال (وارزق أهله من

الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلاً ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير) فجعل الحق سبحانه على نفسه أن يرزق أهل حرمه مؤمنهم وكافرهم ما داموا فى بيته أو جوار بيته ولقد قام على شئون البيت فى كل عصر من العصور قوم وهبوا أنفسهم وأرزاقهم لخدمته وخدمة زواره وعماره وأقدم من ذكر لنا التاريخ أنه جمع كل أمور البيت فى يده هو قصى بن كلاب بن مرة ولقد دفعنى الفضول إلى محاولة جمع ما يخص تاريخ الكعبة ولكن لم تسعفنى المراجع لما أرنو إليه فالمعلومات الكاملة عن تاريخها غير متوافرة فاكتفيت بكتابة مقتطفات منه .

أسامة عبد الرحمن

obeikandl.com